

صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق

الدكتورة مليحة رحمة الله

الأستاذة المساعدة في كلية البنات — جامعة بغداد

هناك صور من الحياة كثيرة في المجتمع العراقي في عصر بني العباس ، منها ما استمدت من واقع البيئة ، ومنها ما كانت ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام ، ومنها ما اقتبست من الأمم الأجنبية وخاصة الفرس . وهذه الصور يمكن أن يطلق عليها اسم العادات والتقاليد التي سيطرت على عقول الناس ولا تزال مهيمنة حتى اليوم . هذا وتختلف هذه العادات والتقاليد باختلاف المناسبات ، فثمة عادات تظهر في مناسبات الأفراح والأعياد ، وهناك عادات أخرى تبرز في حالات الأتراح والأحزان ، ومنها ما لها علاقة بالحياة الاجتماعية بصفة عامة .

ففي مناسبات الأفراح كما هو الحال في الأعياد الدينية كعيد الأضحى جرت العادة أن يستقبل الحجاج عند عودتهم من مكة المكرمة ، وتقدم التهنئة لهم بسلامة الوصول وأداء فريضة الحجاج^(١) وقد يشترك الخليفة نفسه في هذا الاستقبال . حتى في سنة واحد وتسعين وثلاثمائة أن استقبل القادر بالله أهل خراسان القادمين من الحج الناجين إلى المشرق^(٢) . وفي عيدى الفطر والأضحى تقام الولائم خاصة في قصور الأغنياء ، وعرفت أسمطة الخلفاء والوزراء بسمتها وبكمية كميات وأنواع الطعام التي تقدم عليها .

ومن صور الحياة أيضاً الاحتفال بمختم القرآن ، ويكون مقصوداً على الأحداث ، وتنظم بذلك اللواكب ويظهرون فيها بأحسن الأزياء ويحجوبون طرق المدينة ينشدون الأناشيد وقد لبسوا أغفر الثياب^(٣) . ثم تقام للآدب وتوزع الخلع على المقرئين

(١) ابن الجوزي : تليس من ١٤٠ — ٣٨٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنظم ج ٧ ص ٢١٥ .

(٣) الشيبى : ابن القوطى ج ٢ ص ١٠٦ .

والمؤدين ، وتقام مآدب يدعى إليها بعض العلماء وتوقد فيها النيران^(١) . ويحضر أيضاً إلى هذه الاحتفالات الرجال والنساء على السواء ، من الأقارب وأصحاب المحلة^(٢) . وهذه العادات كانت شائعة عند العباسيين ، واهتم بها الخليفة المستنصر بصورة خاصة في القرن الخامس الهجرى^(٣) . وكذلك عادات الاحتفال بختان الأولاد واشتهر في التاريخ الاحتفال الذى أقيم في ختان المعتز بن المتوكل وكذلك ختان أولاد الخليفة المتقدر إذ أنفقت أموال كثيرة في هذه المناسبة .

وهناك احتفالات تقام في الأعياد الفارسية مثل النوروز والهرجاء^(٤) ، ويشترك فيها الناس جميعاً في العراق إذ تبادل الهدايا بينهم ، كما تغير الأدوات والفرش وكثير من الملابس^(٥) .

ومن الطريف أن الخلفاء العباسيين أنفسهم كانوا يتوقعون أن ترسل إليهم الهدايا من حاشيتهم وموظفيهم في جميع أنحاء المملكة عندئذ وأكثر من ذلك يطالبون بها فالتوكل جلس في يوم النوروز لاستقبال المهنئين واستلام الهدايا فدخل عليه الطبيب بختيشوع ابن جبرائيل وكان من القربين له فقال له المتوكل ما ترى في هذا اليوم ؟ فقال مثل جرباشات الشعاذين إذ لبس قدر وأقبل على مامى . ثم أخرج من كفه درج أبوس مضرب بالذهب وقطعه عن حرير أخضر انكشف عن ملقعة كبيرة من جوهر لمع منها شهاب ، ووضعها بين يديه فرأى للتوكل ما لا عهد له بمثله^(٦) . وقد تبلغ قيمة هدايا النوروز والهرجاء للخلفاء ولعائلاتهم مبلغاً كبيراً قد يتجاوز خمسة وثلاثين ألف دينار^(٧) . وهذه العادة اتبعت لدى جميع أفراد المجتمع وكما نعلم أبطاها الإسلام في بادئ الأمر حتى جاء معاوية وقبل الهدايا ، وفي العصر العباسي أرجعت الهدايا مع الاحتفال بالعيد رسمياً .

(١) ابن الجوزى : تليس ص ٣٨٢ .

(٢) ابن الجوزى : تليس ص ١١٠ .

(٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٧١ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشا ج ٢ ص ٤٢ .

(٥) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢٢٢ .

(٦) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ص ٢٠٧ .

(٧) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦ .

هذا ، وقد يتهدون بالفضائل الشمرية أيضاً ، خاصة إلى من هم أعلى منهم منزلة .
وهكذا فعل إسحق الصابي وهو في سجنه ، إذ كتب إلى عضد الدولة قصيدة أرسلها
إليه مع درهم خرداني وجزء من كتاب ، فكان مطلعها (١) :

تصبح بعز واعتلاء حدود وأبشر بخير واطراد سعد
وقال :

أتك الهدايا فيه بين موفر على قدر المهدى وبين زهيد
وقال :

فكان احتفالي في الهدية درهما يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبى وتقيده بالشكل مثل قيودى
وكتب إليه في يوم نيروز فقال (٢) :

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره وكن أبدأ بالعود منه على وعد
أرى الناس يهدون الهدايا نفيسة إليك ولم يترك لي الدهر ما أهدى
سوى سكر يخلو لك العيش مثله وآس أخى عمر كعمرك تمتد
وبينهما من ضرب قومك درهم وأبيات شعر من ثنائى ومن حمدى
فإن كنت ترضى ما به أبسط يدي وتقبله منى فهذا الذى عندى

أما حفلات التشريف — والى اقتصر على الخلفاء بصورة خاصة — فالعادة جرت
أن يخضع الخليفة على الأمير أو الوزير والقيس أو الوالى لإحدى المقاطعات أو غيرهم
خلعاً وألقاباً . وقد عرفت عادة الألقاب أولاً منذ عهد الرسول (ص) إذ لقب (ص)
جماعة من أصحابه بألقاب تتفق مع ما قاموا به من الأعمال وما يتصفون بها . فلقب
أبى بكر (بالصدق) وعثمان (بذى النورين) وعلى (بأبى تراب) وجعفر (بالطيّار)
وحمزة (أسد الله) وهكذا (٣) . ولم تستعمل ألقاب في العصر الأموى حتى جاء العصر
العباسى ، فسمى كل خليفة باسم واعتبرت ألقاباً دينية فأبوالعباس (بالسفايح) وهارون
بالرشيد وهكذا ، الباقون كالمهدى والتوكل والمستعين والمأمون (٤) وغيرهم . حتى

(١) الثعالبى : نديمة الدهر ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) الثعالبى : نديمة الدهر ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣) الصابى ، رسوم ص ١٢٨ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٦ .

الوزراء والقواد أعطيت لهم ألقاب ؛ فالأماون أعطى الفضل بن سهل لقب «ذى الرئاستين» ولقب المعتمد صاعد بن مخلد بذى الوزارتين ، ولقب المقتدر بن الحسن ابن الفرات بولى الدولة وهكذا بقية وزراء وأمراء الدولة ^(١) . هذا وقد وصلت الألقاب إلى ثلاثة وأربعة ألقاب فى العصر البويهى ^(٢) وبصورة عامة كانت الألقاب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تعطى لأهل التقوى والدين واسكنها تغيرت فى العصر العباسى فأصبحت تعطى لرجال السياسة وفيها تعظيم وتقدير ^(٣) .

ولم يكتف العصر العباسى بمنح الألقاب ، بل أعطيت معها خلع بلغت إلى السبعة مع الطوق والسوار ^(٤) وأعطيت للأمير بحكم لواء ^(٥) وجعل أمير الأمراء ، وكذلك لابن رائق ^(٦) وغيرهم من الأمراء والقواد . وكانت العادة أيضاً أن يخطب على المنابر للخلفاء ويذكر اسمهم فقط ، واسكن فى القرن الرابع شارك الأمراء الخلفاء فى ذكر اسمهم مع اسم الخليفة ^(٧) . وكانت العادة أن تضرب الطبول والدادب للصلوات بحضرة الخليفة ^(٨) فقط ثم أخذت تضرب الأمراء أيضاً . قيل أول من ضربت له الدادب هو عضد الدولة ^(٩) ثم استمرت طيلة فترة حكم بنى بويه ^(١٠) .

أما عادات الأحزان فهى كثيرة ولا تزال متبعة حتى اليوم فى المجتمع وتبدأ عند تشييع المتوفى ؛ إذ يخرج الأهل والأصدقاء والمعارف ويسرون خلف الجنازة ^(١١) ، فالمرأة تخرج وتبكي وتشرشعرها وتلطم وتشد الأشعار ، وهكذا فعات عند مقتل

-
- (١) الصابى ، رسوم ص ١٣١ .
 - (٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ .
 - (٣) القلقشندى ، صبح الأعشا ج ٥ ص ٤٩١ .
 - (٤) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ .
 - (٥) الصولى ، الأوراق ص ١٩١ .
 - (٦) الصولى ، الأوراق ص ٢٠٩ .
 - (٧) الدمشقى ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٢ .
 - (٨) هلال بن الصابى رسوم دار الخلافة ص ١٣١ .
 - (٩) الدمشقى ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٩ .
 - (١٠) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٧ ص ٣٤٠ .
 - (١١) ابن الجوزى ذم الهوى ٤٧٨ .

الحليفة المسترشد^(١) وقد تخرج نائمة خلف الجنازة^(٢) وربما يخرج رجال من أصحاب الذكر يسرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهاليل وترتيل الألحان^(٣).

أما بالنسبة للنصارى فيشيعون موتاهم بالنواح وضرب الطبول والنفخ بالزمرور^(٤) ويسير الرهبان في المقدمة ثم حاملو الصلبان والشموع ثم بقية الناس من أهل وأصدقاء ومعارف .

وفي حالة الدفن اعتاد البعض من أهل بغداد أن يدفن موتاه خارج أسوارها والبعض الآخر يدفن موتاه في النجف الأشرف ، وهؤلاء أصحاب المذهب الشيعي وتنقل الأموات إلى هذا المقر حتى من الأمكن البعيدة ، ولا زالت هذه العادة متبعة ليومنا هذا . وذكر أن عضد الدولة الأمير البويهى نقل جثمانه إلى النجف الأشرف في القرن الرابع الهجرى^(٥) وكذلك استمرت عادة قراءة القرآن على القبور لدى جميع طبقات المجتمع . حكى أن امرأة فقيرة دفعت إلى رجل رغيفاً وطلبت منه أن يقرأ عند قبر ابنها ، فقرأ « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا ... » قالت له هكذا يقرأ عند القبور؟ فقال لها ، أيش أردت أن أقرأ « متكئين على فرش بطائنها من استبرق » في ذاك بدرهم^(٦) .

وعلى ذكر طريقة دفن الموتى نشير إلى عادة دفن النقود أيضاً تحت الأرض خوفاً من ضياعها : فالأمر الذي يحكم كان يحفظ أمواله في الصحراء^(٧) . وهكذا كان يفعل التجار . حكى أن تاجراً قدم من خرسان متأهباً للذهاب للحج ، وبقي من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها ، فقال إن حملتها خاطرت بها وإن أودعتها خفت مغبة المودع ، فمضى إلى الصحراء ودفنها تحت الشجرة ، وعندما عاد لم يجدها فوصل الخبر إلى عضد الدولة فاستطاع بمهارته وعمق تفكيره أن يهتدى إلى السارق^(٨) .

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ج ١٠ ص ٤٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣١ .

(٣) ابن القوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقة ص ٢٣٧ .

(٤) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٧ ص ٢٦٢ .

(٥) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٨ ص ٣١٧ .

(٦) ابن الجوزى ، الطراف ص ٩٨ .

(٧) الدمشقي ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٠١ .

(٨) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٥٢ .

أما المآتم التي تقام على الأموات ، فكانت على نوعين ، منها الخاصة بالرجال والأخرى بالنساء ، يقرأ فيهما القرآن . ويختار لمجالس النساء قراء عميان أو قارئات^(١) يلبس فيها الثياب ذات اللون الأسود وهي تمثل شعار الحزن .

وعلى ذكر ثياب العزاء فإن المؤرخين وغيرهم من الكتاب لم يمدونا بعلومات وافية عن لونها ووصفها . على أننا نستطيع أن نقول أنه كان يغلب عليها اللون الأسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٤٠ هـ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة^(٢) .

ومن بين التعاليم الدينية التي تمثل صور من المجتمع العراقي زيارة قبور الأئمة والشهداء من أهل البيت ، وكذلك قبر الإمام أبي حنيفة ومشهد الصحابي سلمان الفارسي . وقد زار بعض الخلفاء قبور أهل البيت ، وكانت تنفق أموال كثيرة على قبور الشخصيات التي تتمتع بصفة دينية . فالخليفة المستنصر عند زيارته لقبر الإمام موسى بن جعفر أعطى ثلاثة آلاف دينار لنقيب الطالبين لصرفها على المعنيين في مشهد الأئمة^(٣) .

وفي حالة وفاة شخصية كبيرة كالخليفة أو الأمير فالحزن يعم بغداد كلها إذ تغلق الأسواق وتعلق الأقمشة السوداء على جدرانها وتقام المآتم في كل مكان . وحدث مثل ذلك في القرن الخامس الهجري عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله فأظهرت علامة الحزن لمدة ثلاثة أيام^(٤) على المستوى الرسمي والشعبي ، وكذلك عند وفاة الأمير البويهى عضد الدولة .

هذا وقد يظهر أصحاب المذهب الشيعي الحزن الشديد في ذكرى استشهاد الإمام الحسين يوم عاشوراء^(٥) ولا تزال عادة إظهار الحزن مستمرة في العراق حتى الوقت الحاضر .

(١) السيفي ، ص ٦٨ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ص ٢٩٥ .

(٣) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ١٠٤ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ص ١٦٥ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٧ ص ١٥ .

وهالك صور أخرى تمثل نواحي الحياة في المجتمع ، نذكر منها شيئاً فيما يخص الطعام واللباس وبعض الأمور الأخرى ؛ فمن العادات المتبعة عند الطعام ولا تزال — خاصة عند طبقة المتدينين — هي غسل الأيدي قبل الطعام وبعده ويكون في وعاء واحد^(١) يسمى بالطشت^(٢) ويبدأ رب البيت بالغسيل^(٣) ويذكر متر أن العادة جرت أن يبدأ الغسل من جهة اليسار حتى ينتهي بصاحب البيت^(٤) ، بينما يغسل يديه بعد الضيوف عند الانتهاء من الطعام^(٥) ويستعمل عادة الاثنان في الغسيل^(٦) ويذكر كشاجم أن عامة الناس تعودوا على إجلال رؤسائهم وخلفائهم لعدم غسل أيديهم بحضورهم وأجازوا ذلك مع نظرائهم ليكون بذلك (٧) ألبقى يحكى أن القائد الافشين أكل عند الخليفة المعتصم يوماً وبعد الانتهاء من الطعام غسل يديه بحيث يراه المعتصم فأزعجه بهذا التصرف^(٨) . هذا وبعد الغسيل تنظف الأسنان . يحكى أن المأمون كان يصرف ساعتين كل يوم يستمع فيهما للشعراء أثناء تنظيف أسنانه ، كما يستعمل السواك لتنظيف الأسنان^(٩) .

هذا ، وقد اهتم الكتاب بآداب الطعام ، فكتب الغزالي خمسة قواعد لآداب الطعام^(١٠) وكذلك كشاجم^(١١) كتب في هذا الموضوع إضافة إلى عدد كبير من الكتاب والمؤرخين من اهتم بذلك ، فالخطيب البغدادي ذكر أنه بعد الانتهاء من الطعام على صاحب الدعوة أن يبخر المدعوين^(١٢) وعلى المدعوين أنه يشكروا صاحب

-
- (١) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
 - (٢) الهمذاني ، مقامات ص ١٣٥ .
 - (٣) الغزالي ، إحياء ج ٢ ص ١٦ .
 - (٤) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
 - (٥) الغزالي ، إحياء ج ٢ ص ٧ — الأزدي حكاية بن القاسم ص ٤١ .
 - (٦) الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٣٢ .
 - (٧) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
 - (٨) دم متر ، الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٣٢ .
 - (٩) الأزدي ، حكاية ص ٤١ — الغزولي ، مطالع البدور ج ٢/٦٨ .
 - (١٠) الغزالي ، إحياء العلوم ج ٢ ص ١٦ — ١٨ .
 - (١١) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
 - (١٢) الخطيب ، التعليل ص ٨٦ .

الدعوة عند مغادرتهم للبيت^(١). هذا وهناك عادات كثيرة جداً في الأصول وقواعد الطعام لا مجال لذكرها هنا خاصة بموائد الخلفاء ورجال الدولة . أما عادات اللباس فهي كثيرة أيضاً فلكل طبقة زى خاص بها . فالخلفاء اتخذوا السواد^(٢) ولا يمكن تغييره لأنه أصبح شعاراً لدولتهم وكذلك الوزراء وغيرهم من الداخلين لدار الخلافة عليهم أن يتخذوا الألبسة السوداء لباساً لهم^(٣) وحتى محضرون مجالسهم لبست الأثواب المصبغة الزاهية الاحمرار والاصفرار والاخضرار يصقلونها حتى تلمع^(٤). وفي المواكب تتخذ أثواب خاصة بها أيضاً^(٥) وجرت العادة أن يلبس القضاة والفقهاء البظنة والطيلسان الأسود والدراعة السوداء والقلائس المستديرة حتى أبدلت بعد ذلك بالعمائم السود المصقولة^(٦).

ومن التقاليد والعادات العائلية في ذلك الوقت والتي استمرت حتى يومنا هذا لدى بعض الناس هي أن لا يخرج المرأة كاشفة الوجه أو حاسرة الرأس في الطرقات — فعليها أن تغطي وجهها^(٧) وأن تتخذ التحفظ والاحترام والحشمة والابتعاد عن الرجال القرباء عند حضورها مجالس الوعظ^(٨) وفي الذهاب للعمام أو الأسواق^(٩). وكان لازواج عادات وتقاليد سيطرت على المجتمع ومع أنها قد تسبب مشاكل ومصاعب للأسرة ، لكن ليس من السهل تغييرها أو إزالتها من عقول الناس . فمن هذه التقاليد التي أصبحت عادات بعض الزمن ، « الخطبة » التي اتبعت فيها طريقتان : إحداهما تتم بالتفاهم بين الرجل والمرأة مباشرة^(١٠) وهذا نادر الحدوث ،

(١) الفزالي ، إحياء ج ٢ ص ٥ .

(٢) الصابى ، الوزراء ص ٢٦١ .

(٣) الصابى ، رسوم ص ٩١ .

(٤) الموشى ، الوشاء ص ١٨٣ التمدن ج ٥ ص ٨٣ .

(٥) جلالة الصابى ، رسوم ص ٩٠ .

(٦) الاصبهاني ، ج ٥ ص ٣٩٠ .

(٧) انظر مقالة عن الملابس لصاحبة المقال نشرت في المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٧ من المجلة التاريخية المصرية .

(٨) الفزالي ، إحياء العلوم ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٧٦ .

(١٠) الماوردي الأحكام السلطانية ص ١٢٣ أو ٢٢٢ .

(١٠) ابن الجوزي ، ذم الهوى ص ٣٦٦ — ٣٦٨ .

حقى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة حيث انتشرت الجوارى وانحطت منزلة المرأة .

أما الطريقة الثانية وهى المتبعة لدى جميع طبقات المجتمع فهى جعل الخطبة عن طريق الوساطة ، وذلك بأن يعهد إلى سيدة من الأقارب أو من صديقات الأسرة بالذهاب إلى أهل الفتاة لطلب يدها^(١) . وكان من مستلزمات الزواج الصداق ، وقد جرت العادة بأن يكون نقداً ، وكان مقداره يختلف حسب طبقات المجتمع ؛ فالأثرياء يقدمون صداقاً كبيراً ، يتناسب مع ما يملكون من ثروة^(٢) . وكانت طبقة العامة تحرص أيضاً على تقديم الصداق بقدر ما تستطيع^(٣) . وهذا دليل على أن هذه العادة كانت مسيطرة على عوائل المجتمع .

ومن العادات التى كانت تراعى فى الزفاف أن تزف المرأة إلى بيت الرجل^(٤) حيث يقام احتفال ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته^(٥) . وقد يشترك مع المدعوين أشخاص يحضرون بدون دعوة ، يعرفون بالعفيليين ، والظاهر أنها عادة متبعة فى المجتمع ، ويسمى الواحد منهم بطفيلي العروس ، ولا يجسر أحد من المدعوين أن يطلب منه الخروج . ويحكى أن طفيلياً أوصى ابنه إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلتفت المريب وتخبر المجالس ، فإن كان العرس كثير الزحام فلا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا فى عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من أهل هؤلاء . فإن كان البواب غليظاً صلفاً فابدأ به ومره وإنه من غير أن تعف به وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال^(٦) .

وجرت العادة عند الأمراء والطبقات الثرية أن ينثر على الحضور النقود الذهبية والفضية والحلويات فى حفلات الزفاف وقد عرف ذلك بالشار . وتجلت هذه المظاهر

(١) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٤٢٨ .

(٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٤٩ .

(٣) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٧٧ .

(٤) الثعالبي ، ثمار القلوب ص ٣١٩ -- ٣٢١ .

(٥) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ١٨٢ .

(٦) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ١٨٣ .

في حفلى زواج زبيدة بهارون الرشيد وبوران بلأمون^(١) . وظلت عادة النشار متبعة طيلة العهد العباسي^(٢) فشوهدت في حفلى ختان للعز بن المتوكل^(٣) ، وأولاد المقتدر ، حتى قيل إن النفقات بلغت في يوم ختان أولاد هذا الخليفة ستمائة ألف دينار ، حيث وزعت دراهم وكسوة^(٤) . وقد اتبع سائر الناس عادة النشار وصاروا فضلا عن ذلك يقدمون الهدايا إلى العروس في صباح يوم زواجها . وتسمى بالصبحية . قيل سئل أحد بعد أن زفت له امرأة قبيحة عاذاً تصبحها قال بالطلاق^(٥) .

وكان أغلب هذه العادات متبعاً لدى كثيرين من أفراد المجتمع العراقي ، ولم يختلف عنهم بصورة واضحة سوى طائفة الصابئة ، ففي الزواج كانوا كالمسلمين يتبعون نظام الخطبة عن طريق أحد الوسطاء من الأقارب أو المعارف ، ثم يقوم علماء الدين بعقد الفرائض ، ويقدم الصداق حسب ثروة الزوج . وتنقل للعروس إلى مكان خاص قرب النهر تجرى فيه مراسيم الزواج بإشراف علماء الدين وعلى رأسهم الفقيه . وقد جرت العادة عند الصابئة أن يحتفل بتعميد العروسين عند زواجهما فيرتديان ملابس خاصة ويجلسان على حافة النهر ، ثم تغطس رأسيهما ثلاث مرات ، ويرش الماء على جسديهما ويتناول كل منهما ثلاث جرعات من الماء ثم يرتديان ملابس أخرى ويعودان إلى دراهما ، وهناك تجرى طقوس دينية يتولاها أحد علماء الصابئة ، يتناول بعدها العروسان نوعاً خاصاً من الطعام يتكون من الجوز والترو والزيت والكشمش والملح والبصل ، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم يصبح الزواج مقبولا^(٦) .

(١) الشابتي ، الديارات ص ١٠٠ و ١٠١ .

(٢) محمد رضا الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن القوطى ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) الشابتي ، الديارات ص ١٠٠ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٧ ص ١٢٧ .

(٥) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ص ٨٩ .

(٦) عبد الرازق الحسني ، الصابئون ص ١٠٢ — ١٠٤ .